شهداء الأعمال يوم القيامة

حسين دياب[١]

مقدّمة:

في سياق عرضه لمواقف عالم الآخرة وأحداثها يوم تقوم المحكمة الإلهيّة، أشار القرآن الكريم إلى موقف يُدعى فيه نفر من الإنس وبعض الموجودات ليشهدوا على أعمال الإنسان، وما خطّته جوارحه وجوانحه في صحيفة أعماله، وما عُقِد عليه قلبه في سنيّ عمره التي قضاها في دار الدنيا؛ لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد قيام البيّنة وإدلاء الشاهد بما عاينه وخبره في سالف حياة المشهود عليه، وما استوفاه فيها بما أُعطي من عمر.

وقبل الخوض في غمار هذا البحث، تجدر الإشارة إلى أنّ استخدام القرآن الكريم لمصطلح الشهيد يختلف عن ما اصطلح عليه في الروايات والأحاديث الشريفة؛ حيث إنّ ألفاظ الشهيد والشهداء في الآيات الكريمة في عين رجوعها إلى معنى واحد اختلفت مقامات استعمالها تشكيكاً وبحسب الرتبة الوجوديّة التي يحظى بها صاحبها.

فقد أطلق القرآن الكريم صفة الشهيد على الإنسان في مقام حضوره ومشاهدته حدثاً ما؛ حيث يؤهِّله ذلك ليُدليَ بإفادة حول ما حصل، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ**

١) طالب في مرحلة الإجازة في الفقه والمعارف الإسلاميّة، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة.

الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ﴾[1].

كما أُطلقت هذه الصفة على العارف المتيقِّظ غير الغافل، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[2].

وتحدّثت بعض الآيات عن مقام الشهداء عند الله تعالى بالمعنى المعرفي للشهادة، من دون تحديد السبب الذي أوصلهم إلى هذه المكانة، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[3].

وعن شهادة الجمادات قال –تعالى–: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[4].

كما ورد أنّ صفة الشهيد من صفات الله تعالى في كثير من الآيات المباركات[5].

وعلى الرغم من وجود كثير من الآيات التي تحدّثت عن الشهيد والشهداء والشهادة؛ فإنّ أيّاً منها لم يُصرِّح بكون الشهيد هو المقتولَ في ساحة الجهاد، أو ما يشابه ذلك، وإنْ كان بعض الآيات يتحمّل كون المقتول كذلك من مصاديق الشهيد أو الشهداء الوارد فيها، ولكنْ في السُنَّة النبوية والروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام كثرت موارد استعمال لفظ الشهيد بمعنى المقتول في سبيل الله؛ ما أدَّى إلى انصراف هذا المعنى من كلمة الشهيد؛ فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**للشهيد سبع خصال من الله: أوّل قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب...**»[6]، وعنه صلى الله عليه وآله: «**يُعطى**

---

١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢

٢) سورة ق، الآية: ٣٧

٣) سورة النساء، الآية: ٦٩، وراجع: سورة الزمر، الآية: ٦٩

٤) سورة يس، الاية: ٦٥

٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٨، سورة المائدة، الآية :١١٧، سورة الأنعام، الآية ٩٠، سورة يونس، الآية:٤٦، سورة الحج، الآية:١٧، سورة سبأ، الآية:٤٧، سورة فصّلت، الآية:٤٧....

٦) الطوسي، محمد بن الحسن: **تهذيب الأحكام**، تع. السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.ش، ج٦، ص١٢٢.

للشهيد ستّ خصال: يُغفر له في أوّل دفعة من دمه»[١]، و«**ما من نفس تموت، لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا، وأنّ لها الدنيا وما فيها؛ إلا الشهيد، فإنّه يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرّة أخرى؛ لما يرى من فضل الشهادة**»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**(...) إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة، وهو الكرة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة وبالرزق غداً عند الرب والكرامة (...)**»[٣]، وعنه عليه السلام: «**إنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد الله، وجعفر بن أبي طالب**»[٤].

ولا بدّ من التنبيه إلى أنّه حينما نقول إنّ الشهيد في القرآن بالمعنى الذي يشهد على أعمال الخلائق يوم القيامة، فليس مرادنا من الأعمال خصوص الظاهريّة؛ وإنّما الأعمّ من ذلك، بما يشمل الأعمال الباطنيّة، ليصحّ كونه شهيداً وحجّةً في أداء الشهادة على أعمال العباد، فـ «**الشهادة على الشيء هي تلقّيه بالحضور والرؤية، ويسمّى كلٌّ من تحمّلها وحكايتها شهادة. ومن المعلوم أنّ الشهادة على الأعمال ليست على مجرّد صورها الظاهرة؛ بل على ما هي عليها من الطاعة والعصيان والسعادة والشقاوة؛ إذ هو قضيّة (مقتضى) القضاوة، ولاسيّما من أحكم الحاكمين**»[٥].

وفي ختام هذا التمهيد أُشير إلى أنّ ثمّة آثاراً عقديّة وتربويّة تترتّب على مسألة الشهادة على الأعمال، خصوصاً في ما يرتبط بالمنظومة الفكريّة التي تتعلّق بالرؤية العقديّة لشخصيّة المعصوم عليه السلام؛ بما يحمله من عصمة وصفات كماليّة، وبدوره

١) الهندي، علاء الدين علي المتقي: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تصح. الشيخ صفوة السقا، لا ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٤، ص٤١٠.

٢) م.ن، ج٤، ص٣٩١.

٣) الكليني، محمد بن يعقوب: **الأصول من الكافي**، تصح. وتعـ. علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ . ش، ج٥، ص٣٧.

٤) الطبرسي، حسين النوري: **نفس الرحمن في فضائل سلمان**، تحـ. جواد القيومي الجزءاي الاصفهاني، ط١، مؤسسة الآفاق، لا م.، ١٤١١هـ/١٣٦٩م، ص٣٧٦.

٥) الطباطبائي، محمد حسين: **الرسائل التوحيدية**، لا ط، المؤسسة العلمية والفكرية للسيد الطباطبائي، قم، ١٩٨٦م، ص ٢٥٩

الذي يتحمّله في مقام مسؤوليّته تجاه الأمّة التي أُنيط بها من قِبَل الله -تعالى-، وهذا ما سوف نفصّل فيه في خاتمة البحث إن شاء الله -تعالى-.

أولاً: شهداء الأعمال من غير الإنسان:

يقول السيد الطباطبائيقدس سره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[1]: «**واعلم أنّ الشهادة على الأعمال على ما يفيده كلامه تعالى لا يختصّ بالشهداء من الناس، بل كلّ ما له تعلّق بالعمل كالملائكة، والزمان، والمكان، والكتاب، والجوارح، والحواس، والقلب، فلهم فيه شهادة**»[2].

ويشير العلامةقدس سره إلى المسألة نفسها -أيضاً- في كتابه «**كتاب الإنسان**»، حيث يقول: «**ومن الشهداء: الزمان، والمكان، والأيام الشريفة، والشهور، والأعياد، والجمع، والأرض، والبقاع، والمساجد، وغيرها...**»[3].

وسوف نستعرض من القرآن الكريم وروايات أهل البيتعليهم السلام جملة من الشهداء في الآخرة، منهم:

١- الملائكة الكَتَبَة:

قال سبحانه: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[4]، وقال: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[5].

عبّر الله -جلّ وعلا- بهذه الآية عن الملائكة الكَتَبة أنّهم القائمون بالرقابة الشديدة على أفعال الإنسان الكبيرة منها والصغيرة، حتى الأنين في مرضه.

---

١) سورة البقرة، الآية:١٤٣

٢) الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، ط٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٣٢٣.

٣) الطباطبائي، محمد حسين: **كتاب الإنسان**، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٤١.

٤) سورة يونس، الآية:٦١.

٥) سورة ق، الآية: ١٨.

ب. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[١].

وورد في دعاء كميل: «وَكُلّ سَيِّئَة أَمَرْتَ بِإِثْباتِها الكِرامَ الكاتِبِينَ، الّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيّ مَعَ جَوارِحِي، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيّ مِنْ وَرائِهِمْ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِي عنهم»[٢].

فكانت الملائكة حافظة لأفعال الإنسان وشاهدة عليه مع جوارحه.

٢- الجوارح والأعضاء:

أ. قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

ب. قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

إنّ من أهمّ المعاني التي يؤكّد عليها القرآن الكريم هي شهادة جوارح الإنسان على أعماله، فلربّما إنْ سألته في الدنيا عن ذنبٍ أو معصيةٍ ارتكبها أمكن أن ينكر بلسانه ويده، أمّا في ساحة المحكمة الإلهية فهذا اللسان نفسه وهذه اليد نفسها يشهدان على قبح ما فعله في دنياه.

ج. وقال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥].

إذا دقّقنا النظر في الآية الشريفة نجد أنّها تقول: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، ولم تقل (وقالوا لسمعهم وأبصارهم لم شهدتم علينا...)؛ وذلك للمبالغة

---

١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٠ و١١.

٢) الطوسي، محمد بن الحسن: **مصباح المتهجد**، ط١، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٨٤٩

٣) سورة يس، الآية:٦٥.

٤) سورة النور، الآية:٢٤.

٥) سورة فصلت، الآيات:٢٠-٢٣.

في ما يشهد عليهم؛ لأنّ الجلود -حسب بعض التفاسير؛ ومنها تفسير الميزان- تعني الفروج والأفخاذ، فاستنطاقها أكثر وأشدّ وقعاً في نفوس المذنبين، فبها أفسدوا أنفسهم، وبها سوف يصلحونها، وهذا ما قد عبّر عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى خطبه المشهورة بقوله: «**وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمس**»[1].

٣- الأرض:

قال سبحانه: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا × بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[2].

فالأرض قد تشهد على فلان أنّه صلى ركعتين مندوبتين في زاوية من زواياها، وعلى آخر بأنّه سرق وشرب الخمر في زاوية من زواياها.

فقد سأل كهمس أبا عبد الله عليه السلام، فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها، فقال: «**لا بل هاهنا وهاهنا، فإنّها تشهد له يوم القيامة**»[3].

٤- الزمان (الأيام، ...):

حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ النهار إذا جاء قال: يا بن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك عند ربّك يوم القيامة، فإنّي لم آتك في ما مضى، ولا آتيتك فيما بقي، وإذا جاء الليل قال مثل ذلك**»[4].

ثانياً: شهادة الإنسان:

إنّ هذا النوع من الشهادة -في الواقع- هو من أهمّ أنواع الشهادات وأشرفها؛ لأنّه يبحث في شهادة قسم خاصّ من البشر، نالوا شرف الاطّلاع على أعمال من سواهم؛ ليكونوا حجّة الله عليهم بعد شهادة غيرهم من غير الإنسان، وهم يمتازون عن أولئك بأنّهم لا يكتفون بالاطّلاع على الأعمال؛ بل يقومون بالتدخّل فيها، والسير

١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد: **شرح نهج البلاغة**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، ١٤٠٤ هـ. ق، ج ١٩ ص ١٤٢.

٢) سورة الزلزلة، الاية: ٥.

٣) . الطوسي، م. س، ج ٢، ص ٣٥٣.

٤) المجلسي، محمد تقي، **روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه**، تحـ. السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الاشتهاردي، ط١، دار العلمية، قم، ١٣٩٩هـ، ج١٢، ص٦٥

نحو معالجتها وتطويرها؛ لتصل إلى صورتها السليمة التي تتوافق مع التكاليف التي وضعها الله تعالى للخلق. ويؤكّد القرآن الكريم على هذا النوع من الشهادة في كثيرٍ من الآيات؛ منها: قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ**﴾[1].

فبقرينة عطف الشهداء على النبيّين نستفيد أمرين، الأوّل: أنّ هؤلاء الشهداء من سنخ البشر، والثاني: أنّ العطف يدلّ على المغايرة، فليس بالضرورة أنّ يكون هؤلاء البشر من الأنبياء، فقد يكونون أنبياء، أو لا.

وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾[2].

في الواقع، إنّ لكلّ أمّة حشرها الخاصّ، وهذا الشهيد الذي أشارت إليه الآية الشريفة هو الشاهد عليهم يحضر معهم، بالتالي إنْ كان يوجد في تلك الأمّة نبي، فنبيّ تلك الأمّة هو الشهيد والشاهد على أعمالها، وإنْ لم يكن في تلك الأمّة نبي أو إذا جئنا إلى زمان لا يوجد فيه نبي فهل يوجد شهيد أم لا يوجد؟ وهل هو شاهد عليهم في حياته وموته؟

قال تعالى: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[3].

حيث تشير الآية الشريفة بنحو صريح إلى أنّ الشاهد والشهيد قائم بدور الشهادة حال حياته ووجوده بين أفراد أمّته فقط، بقيد (مَا دُمْتُ فِيهِمْ)، لا أنّه باقٍ على تحمّل الشهادة بعد رحيله عنهم، فالقرآن الكريم عندما يأتي إلى عيسى عليه السلام وهو نبي من أنبياء أولي العزم يقول «**ما دمتُ فيهم**»، وهذا معناه أنّ نبي كلّ أمّة عندما تنقطع مسؤوليّته الدنيوية ينقطع امتداد تحمل شهادته عليهم عن تلك الأمّة.

ولكنّ هذا ليس لجميع الأنبياء، فعندما نأتي إلى نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله نجد أنّ شهادته لا تنقطع عن أمّته، وذلك ما أشارت إليه الروايات الآتية:

---

١) سورة الزمر، الآية:٦٩.

٢) سورة النحل، الاية:٨٤.

٣) سورة المائدة، الآية:١١٧.

- عن علي بن محمد، عن سهل، عن زياد القندي، عن سماعة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله -عزّ وجلّ-: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾، قال: «**هذا نزل في أمّة محمد صلى الله عليه وآله خاصّة، في كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا**»[1].
- عن بريد العجلي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾، قال: «**نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه، وحججه في أرضه (...) وفي هذا القرآن: ﴿...لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله -تبارك وتعالى-، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه ومن كذّب كذّبناه**»[2].

وعليه، فإذا كان في زمن نبيٍّ معيّن؛ فهو الشاهد على أعمال أمّته، وإن لم يكن ثمّة نبي؛ فلا بدّ من وجود شاهد غير نبي، من وصيّ أو إمام؛ لأنّ الآيات عبّرت عنهم بشهود الله في خلقه، كما ورد في جملة من الروايات ومضمون مجموعة من الآيات القرآنيّة التي تثبت لنا هذه الحقيقة.

ومن الآيات التي تدلّ على شهادة غير النبي صلى الله عليه وآله على الخلق، قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3].

وقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام مفسّرة لهذه الآية؛ منها:

- عن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله -عزّ وجلّ: ﴿**اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾، قال: «**هم الأئمّة**»[4]. حيث يبيّن الإمام عليه السلام بنحو صريح أنّ المقصود من المؤمنين في الآية هو الأئمّة عليهم السلام.

---

١) الكليني، م. س، ج١، ص١٩٠.
٢) م. ن، ج١، ص١٩١.
٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
٤) الكليني، م. س، ج١، ص٢١٩.

- عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**ما من مؤمن يموت أو كافر يُوضَع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، وهلم جراً إلى آخر من فرض الله طاعته، فذلك قوله: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم رسوله والمؤمنون﴾**»[1].

والأخبار الواردة في كتب الكافي والأمالي والمناقب والبصائر وتفسير القمي وتفسير العياشي في هذا المعنى فوق حدّ الاستفاضة.

وقد عبرت آية أخرى عن أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الشهداء بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[2].

فالآية المباركة تبيّن شهادتين؛ الأولى: شهادة الأمّة الوسط على الناس، والثانية: شهادة النبي صلى الله عليه وآله على الجميع.

وأمّا المراد بالأمّة الوسط فهو ما بيّنته مجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام؛ منها:

- **الرواية الأولى:** أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي، قال سألت الباقر عليه السلام عن قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾، قال: «**نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه**»[3].

فقد بيَّن الإمام الباقر عليه السلام بنحو واضح المقصود بالأمّة الوسط؛ وهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام الشهداء على الناس وحجج الله عليهم.

- **الرواية الثانية:** عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن بندار بن عيسى، عن الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى الناس**﴾، قال: «**نحن الشهداء على الناس؛ بما**

١) القمي، علي بن إبراهيم: **تفسير القمي**، تصح. وتع. السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٣٠٤.

٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٣) الكليني: م. س، ج ١، ص ١٩١.

عندهم من الحلال والحرام، وما ضيّعوا منه»[1].

فلم تكتفِ هذه الرواية ببيان مَن هم الأمّة الوسط، بل ترقّت إلى مرحلة الكشف عن حقائق ما يشهدون عليه، وتفاصيل الاطّلاع على الأعمال.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كلمة الأمّة -هنا- لم يُقصد منها المعنى العامّ؛ أي الأمّة الإسلاميّة؛ لاستحالة كون الشاهد غير معصوم. وهذا ما سوف نبيّنه في ما يأتي إن شاء الله، وكذلك الجال في كلمة «**المؤمنون**» في سورة التوبة الآية ١٠٥، فلم يُقصد منها المعنى العامّ؛ أي كلّ المؤمنين؛ وذلك لأنّ بعض المؤمنين فقط يستطيع أن يرى أعمال العباد الظاهريّة والباطنيّة؛ الجوارحيّة والجوانحيّة.

ثالثاً: عرض الأعمال:

إنّ هذا الباب من الأبواب المفيدة والقيّمة التي تحتاج إلى الوقوف عندها والتعرّف على أسرارها؛ وذلك لما تحمل بداخلها من آثار مباركة جدّاً، خصوصاً في أبعاد أفعال البشر التربويّة والأخلاقيّة؛ فالإنسان المكلّف والملتزم حقّاً بالأوامر والنواهي الإلهيّة عندما يدرك حجم موضوع الشهادة وأهمّيّته؛ ينصرف تلقائياً نحو العمل على تأسيس برنامج ونظام يومي، بل ساعاتي يحدّد فيه أفعاله وسلوكه؛ بما يتلاءم مع رضاه في إيصال أفضل الصور الكماليّة والأخلاقية لمن يعرفونه ويراقبونه؛ لا بل لمن هم أولياء على نفسه...!!! يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2].

فكما إنّ للإنسان أباً وعائلةً نَسَبيّة، فإنّ لديه -أيضاً- أباً وعائلةً روحيّةً ومعنويّة؛ وهم أهل بيت العصمة عليهم السلام.

١- حقيقة عرض الأعمال:

ورد في شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام روايات عديدة؛ منها:

١) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ: **بصائر الدرجات**، تحـ. ميرزا حسن كوچه باغيق، مطبعة الأحمدي، طهران، ١٤٠٤ هـ/ ١٣٦٢هـ.ش، باب ١٣، ص ١٠٢.

٢) سورة المائدة، الآية٥٥.

- ما رواه سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**ما لكم تسوؤن رسول الله؟ فقال له رجل: جعلت فداك فكيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تُعرَض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك؟ فلا تسوؤوا رسول الله وسرّوه**»[١].
- عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: «**يا داود أعمالكم عرضت علي يوم الخميس، فرأيت لك فيها شيئاً فرحني، وذلك صلتك لابن عمك، أما إنّه سيمحق أجله، ولا ينقص رزقك**»، قال داود: وكان لي ابن عم ناصب كثير العيال محتاج، فلمّا خرجت إلى مكة أمرت له بصلة، فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أخبرني بهذا[٢].

فكما تسوء المعاصي والذنوب أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الطاعات والمستحبات تسرّهم وتفرحهم.

- روي أنّ عماراً قال: يا رسول الله وددت أنّك عمرت فينا عمر نوح عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمار حياتي خير لكم، ووفاتي ليس بشر لكم، أمّا حياتي فتحدّثون وأستغفر لكم، وأمّا بعد وفاتي فاتقوا الله وأحسنوا الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي، فإنّكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم، فإن يكن خير حمدت الله، وإن يكن سوى ذلك استغفرت الله لذنوبكم، فقال المنافقون والشكاك والذين في قلوبهم مرض: يزعم أنّ الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم إن هذا لهو الإفك، فأنزل الله جل جلاله: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾، فقيل له: ومن المؤمنون؟ فقال: عامّة وخاصة، أما الذين قال الله: «**والمؤمنون**» فهم آل محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ثم قال: ﴿**وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ من طاعة ومعصية[٣].

وهذه الرواية من الروايات التي تكشف عن كيفيّة عرض الأعمال على أهل البيت عليهم السلام، وتبيّن علم الشاهد ومعرفته بتفاصيل أعمال العباد.

١) الكليني، م. س، ج١، ص ٢١٩.
٢) الصفار، م. س، ص ٤٤٩ .
٣) ابن طاووس، علي بن موسى: **محاسبة النفس**، ط٤، انتشارات مرتضوي، لا م.، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٨.

إلى غير ذلك من الروايات العديدة التي تكشف عن تفاصيل الشهادة على الأعمال وحقائقها[1].

٢- **أوقات العرض:**

أ. الاطّلاع السنويّ في ليلة القدر.

ب. الاطّلاع الأسبوعيّ ليلة الجمعة:

حيث أشارت روايات عدّة إلى أنّ الشهداء يطّلعون على أعمال الخلق في كلّ خميس، وممّا ورد في ذلك: ما رواه يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال سمعته يقول في الأيام حين ذُكر يوم الخميس، فقال: «**هو يوم تُعرض فيه الأعمال على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة**»[2].

ج. الاطّلاع كل يوم اثنين وخميس:

أشارت بعض الروايات إلى أنّ العرض على الشهداء هو في كلّ يومي اثنين وخميس؛ منها: ما روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في نفر من أصحابه، إنّ مقامي بين أظهركم خير لكم، وإنّ مفارقتي إيّاكم خير لكم، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، وقال: يا رسول الله أمّا مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا، فكيف يكون مفارقتك إيانا خيراً لنا؟ قال صلى الله عليه وآله: أمّا مقامي بين أظهركم فهو خير لكم؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ يعني يعذّبهم بالسيف، فأمّا مفارقتي إياكم فهو خير لك؛ لأنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ اثنين وخميس، فما كان من حسن حمدت الله تعالى عليه، وما كان من سيّئ استغفرت لكم**»[3].

فعندما تتحدّث هذه الرواية وغيرها من الروايات عن أوقات الاطّلاع على الأعمال؛ فهذا لا يعني أنّ هناك تنافياً وتعارضاً في أوقات العرض، فإخبار بكر بأنّ زيداً يملك عشرة دراهم، لا ينافيه إخبار عمرٍو بأنّ زيداً يملك مئة درهم، وهكذا...

١) راجع: الكافي، ج١، كتاب الحجّة.

٢) الصفار، م. س، ص٤٤٨.

٣) الطوسي، محمد بن الحسن: **الأمالي**، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ١٤١٤هـ، ص٤٠٨.

د. الاطّلاع اليوميّ:

ورد في ذلك كثير من الروايات والأخبار عن أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ منها:

- عن عبد الله بن أبان الزيات، وكان يكنّى عبد الرضا، قال: «**قلت للرضا عليه السلام ادع الله لي ولأهل بيتي، قال: أو لست أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة. فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله: ﴿قُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام**»[1].

حيث تشير هذه الرواية إلى مدى تأثير شهادة الشهود على حياة الإنسان وتصرّفاته؛ وذلك لما تحمل من فوائد وبركات إلهيّة إليه.

- عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**تعرض على رسول الله أعمال العباد كلّ صباح أبرارها وفجّارها، فاحذروا، وهو قول الله: ﴿اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**»[2].

حيث تشير هذه الرواية إلى أنّ العرض قد يكون في غير الليل، بل من الممكن أن يكون في الصباح.

رابعاً: شروط تحمُّل الشهادة:

١- معرفة حقائق الأعمال:

يتوقّف أداء الشهادة على أعمال الخلائق يوم القيامة على تحمّل الشهادة في نشأة العمل، ومن الواضح أنّ تحمّل الشهادة يستدعي معرفة تلك الأعمال والوقوف عليها بحقائقها، فضلاً عن ظواهرها، وبتعبير القرآن الكريم: ينبغي أن تصل هذه المعرفة إلى درجة الرؤية: ﴿**قُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[3].

وهذا يعني أنّه لا يكفي العلم المتعارف، وإنّما لا بدّ من أن يصل العلم والمعرفة بالأعمال وبحقائقها، بظواهرها وبواطنها حتى تصل إلى درجة الرؤية.

١) الكليني، م.س، ج١، ص ٢٢٠.
٢) الصفّار، م. س، ص ٤٤٤.
٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

٢- العصمة في تحمّل الشهادة وأدائها:

الشرط الثاني الذي ينبغي أن يتوافر في الشاهد على أعمال الخلائق يوم القيامة هو عدم الاشتباه، وعدم النسيان، وعدم الخطأ، وعدم السهو، وبعبارة واضحة جامعة: أن يكون معصوماً في تحمّل الشهادة وفي أدائها؛ لأنّ الإنسان قد يكون عادلاً، وقد يكون معصوماً في أداء الشهادة، ولكنّه يكون مشتبهاً في تحمّل الشهادة، وقد يكون معصوماً وعادلاً في تحمّل الشهادة، ولكنّه عندما يريد أن يؤدّيها قد يقع في اشتباه، فالشاهد قد وقف على الحقيقة كاملة، ولكن عندما أراد أن يؤدّيها لم يؤدّها كما ينبغي.

من هنا، لكي تؤدّي الشهادة أثرها المطلوب، لا بدّ من أن يكون هذا الشاهد معصوماً في كلتا المرحلتين: في مرحلة تحمّل الشهادة، وفي مرحلة أداء الشهادة: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ**»﴾[١].

«**وعلى هذا فمن الواجب أن يكون هذا الشهيد ذا عصمة إلهيّة يمتنع عليه الكذب والجزاف، وأن يكون عالماً بحقائق الأعمال، التي يشهد عليها لا بظاهر صورها وهيئاتها المحسوسة؛ بل بحقيقة ما انعقدت عليه في القلوب، وأن يستوي عنده الحاضر والغائب من الناس**»[٢].

وهذا يكشف أنّ الجميع حاضر عند المعصوم عليه السلام.

وفي رواية حمران عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّما أنزل الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ يعني عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمّة والرسل، فأمّا الأمّة فإنّه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل**»[٣].

١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

٢) الطباطبائي: الميزان، م. س، ج ١٢ ص ٣٢٣.

٣) ابن شهرآشوب، محمد بن علي: **مناقب آل أبي طالب**، لا ط، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، ج١٣، ص٣١٤ .

خاتمة:

في الختام لا بدّ من تحصيل ثمرة قيّمة جدّاً من نعمة شهادة الشهود على الإنسان، وليس المقصود من الكلام عن الثمرة القيّمة هو في المشهود عليهم، وبالآثار المباركة التي تقدّمها لهم بقسميها الإنسانيّ وغير الإنسانيّ على الصعيد السلوك التربويّ والأخلاقيّ؛ بل المقصود أمران:

١- **الأمر الأوّل:** ضرورة وجود إمام معصوم في كلّ زمان، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة؛ حيث إنّ هذه المسألة من أهمّ المسائل التي وقع فيها الخلاف بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام والاتّجاهات الأخرى، وقد أثبتنا ذلك في ما سبق من خلال التعبير القرآني: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾[١]؛ فإنّه لا بدّ من وجود شاهد وشهيد في كلّ أمّة وفي كلّ زمان، فهذه حقيقة من الحقائق القرآنيّة. وهذا يكشف عن أنّه لا يكفي في الشاهد أن يكون في عالم الملكوت وقد انتقل من هذه النشأة؛ بل لا بد من أن يكون في هذه النشأة: ﴿**مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾[٢]، ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾[٣].

٢- **الأمر الثاني:** إثبات العصمة الشاملة للأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام على مستوى كلّ ما يقومون به؛ حيث إنّ هذه حقيقة من أهمّ الحقائق التي وقع الاختلاف فيها بين علماء الكلام، وهي أنّ النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام هل هو معصوم على مستوى بيان الحلال والحرام فقط، أم يضاف إلى ذلك عصمته على مستوى تطبيق الحلال والحرام، فكما إنّه لا يخطئ في بيان الحلال والحرام فهو لا يخطئ ولا يسهو في تطبيق ذلك؟

إنّ أدلّة الشهادة على الأعمال تثبت أنّه يستحيل ذلك، فلا يمكن عقلاً أن يكون مشتبهاً على مستوى الموضوعات، وإلا فهذا يؤدّي إلى احتمال أن يشتبه بين زيد وعمرو، فيتصوّر زيداً هو الذي أطاع، والمفروض أنّه عصى، وعمراً هو الذي عصى والمفروض أنّه أطاع، وتقع نتائج خطيرة جدّاً على مستوى أداء الشهادة يوم القيامة.

---

١) سورة المائدة، الآية:١١٧.
٢) م. ن.
٣) م. ن.

إذاً، عندما ننظر وندقّق في الآثار المترتّبة على وجود الشاهد في كلّ أمّة، نستطيع أن نقول إنّ من بينها -فضلاً عن الفوائد والمصالح التي يستفيد منها المشهود عليهم- أموراً أخرى نستطيع أن نستفيد منها في تنزيه الساحة الإلهيّة عن إرسال الأنبياءعليهم السلام والأئمّةعليهم السلام إلى الناس مع عدم توافرهم على العصمة الشاملة، وكذلك في التنزيه عن خلوّ الأرض من إمام وحجّة، ولذا فلو لم يبقَ في هذا العالم إلا اثنان لكان أحدهما الإمامعليه السلام، إلى أن يرث الله الأرض...